المبحث الثَّانى

التَّعْريـفُ بالكتـاب

- الكتبُ المصنَّفة في الإدغام .
- أهميَّةُ الكتاب وقيمتُه العلمية .
- تَوثيقُ الكتاب .
- زَمَنُ تأليفه .
- مَنْهَجُه .
- مَصَادرُه .

obeikandl.com

التَّعْريفُ بالكتاب

كتاب أبي عمرو الدَّاني (الإدغام الكبير) كتابٌ مُهِمٌّ في بابه، فهو بالإضافة إلى أنه كتابٌ في علم القراءات، هو كتابٌ في علم الأصوات أيضاً، ومصدرٌ رئيسٌ من مصادره.

وقبل أنْ أتحدَّث عن أهميَّة هذا الكتاب، ومنهج مؤلِّفه فيه، يَحْسُنُ بي أن ألقِيَ نظرةً عَجْلى على تراث الإدغام في العربيَّة.

الكتبُ المصنَّفةُ في الإدغام

لا تكاد كتبُ الطبقات والتراجم والبرامج والفهارس تُسْعفنا إلاَّ بالنزْر اليسير عن أسماء الكتب المصنفة في الإدغام، رغْم أهمية هذه الظاهرة في اللغة العربية.

وبَعْدَ طول صُحْبة لتلك المظانِّ، ومتابعة فهارس المخطوطات، ظفرتُ بهذه القائمة التي تحمل عناوين هذه الظاهرة، مع التنبيه إلى أنني لم أعرْ اهتماماً بما كُتِبَ من منظومات في الإدغام وأحكامه؛ نظراً لكثرتها، وصعوبة حصرها[1].

وفيما يلي إحصاء للمؤلَّفات في ظاهرة الإدغام، مُرَتَّبٌ بحسب تاريخ وفيات المؤلِّفين:

١ ـ كتابُ الإدغام، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء (٢٠٧هـ).

ورد ذكره في: نزهة الألباء، ص ٢٤٢، معجم الأدباء ١١/ ٢٥٤، إنباه الرواة ٢/ ٢٢.

وهذا الكتاب ـ كما تذكر هذه المصادر ـ برواية أبي موسى الحامض، عن ثَعْلَب، عن سَلَمة، عن الفرَّاء.

وقد أغفلتْ ذكرَه الدراساتُ الحديثة التي تناولتْ الفرَّاء ومؤلَّفاته!

(١) لمعرفة تلك المنظومات ينظر ـ على سبيل المثال ـ: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، ـ مخطوطات التجويد ـ.

٢ ـ كتابُ الإدغام ، لأبي حاتم السِّجِسْتَاني (٢٥٥هـ). ورد ذكره في: الفهرست، ص ٦٤، معجم الأدباء ١١/ ٢٦٥، إنباه الرواة ٢/ ٦٢، وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٣، « تحقيق: د. إحسان عباس »، بغية الوعاة ١/ ٦٠٦، كشف الظنون ٢/ ١٣٨٧، هدية العارفين ١/ ٤١١.

٣ ـ إدغامُ القُرَّاء، لأبي سعيد السِّيرافي (٣٦٨هـ). وهو رسالةٌ صغيرةٌ ألحقها السِّيرافي بشرحه كتاب سيبويه. وقد نشرها ـ مستقلةً ـ الدكتور محمد علي عبدالكريم الرديني، وصدرت في طبعتها الأولى عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، عن مطبعة الأمانة بالقاهرة.

٤ ـ ما ذكره الكوفيُّون من الإدغام، لأبي سعيد السِّيرافي ـ المتقدم. وهو رسالةٌ كتبها السِّيرافي بعد فراغه من شرح كتاب سيبويه، وألحقها بالشَّرْح. وقد نشرها ـ مفردةً ـ الدكتور صبيح التميمي [صبيح حمود الشاتي ـ كذا ورد اسمه في المجلة]، في مجلة المورد، المجلد ١٢، العدد ٢، صيف ١٩٨٣م، ص ١٢٧ ـ ١٥٠، ثم أصدرها في كتاب صدر في طبعته الأولى عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، عن دار البيان العربي، جدة، المملكة العربية السعودية.

٥ ـ كتابُ الإدغام، أو شرح الإدغام الكبير بعلله، لأبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران الأصبهاني (٣٨١هـ). أشار إليه المؤلِّف في كتابه (المبسوط في القراءات العشر) أثناء حديثه عن مذهب أبي عمرو بن العلاء في الإدغام بقوله: « . . . وقد أفردتُ له به كتاباً ذكرتُ فيه ما جاء عنه من الإدغام حرفاً حرفاً، بالدلائل، والحجج، والآثار » ص ٩١، ويقول في موضع آخر: « وقد ذكرناها في شرح إدغام الكبير بعلله » ص ١٠٣. وقد أثنى أبو الحسن علي بن محمد القُهُنْدزي على هذا الكتاب، في شرحه لكتاب (الغاية) لابن مهران، ووصفه بالشمول والاستقصاء.

ينظر: ابن مهران ودوره في القراءات مع تحقيق كتاب « الغاية »، ص ٤٧ «الهامش». رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، للطالب: صبغة الله محمد شفيع رسول.

٦ ـ كتابُ الإدغام لأبي عمرو البصري وعلله، لأبي الحسن طاهر بن عبدالمنعم ابن غَلْبون (٣٩٩هـ).

ذكره المؤلِّف في كتابه (التذكرة في القراءات الثمان) بقوله : « فهذه أصول أبي عمرو في الإدغام، قد أخبرتُك بها مختصرةً، وقد ذكرتُ عِلَلَها مستقصاةً في كتاب الإدغام له » ١/ ١٢٧ ، تحقيق: د. عبدالفتاح بحيري إبراهيم. وينظر: الكتاب نفسه بتحقيق: أيمن رشدي سويد ١/ ٩٣ ، ومقدمة المحقق ص ٦٩ .

٧ ـ المعجم في إدغام حروف القرآن على مذهب أبي عمرو بن العلاء رواية يحيى بن المبارك اليزيدي، لأبي الحسن علي بن جعفر بن سعيد الرازي الحذَّاء (كان حياً سنة ٤١٠هـ).

توجد نسخةٌ من هذا الكتاب في: أمبروزيانا / ميلانو ١/ ١٥٩ (ccxi X 97 Sup/A) وتتكون من عَشْر ورقات[١] .

٨ ـ كتابُ الإدغام الكبير، لمكِّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ).

ورد ذكره في: جذوة المقتبس، ص ٣٠٥، معجم الأدباء ١٩/ ١٧٠ ، كشف الظنون ٢/ ١٣٨٨ ، هدية العارفين ٢/ ٤٧١ .

وجاء في: إنباه الرواة ٣/ ٣١٦، أن له كتاباً بعنوان (شرح الإدغام الكبير في المخارج)، وورد في: وفيات الأعيان ٥/ ٢٧٦ ، بعنوان (الإدغام الكبير في المخارج)

وقد ذكر الدكتور أحمد حسن فرحات أنه يوجد من هذا الكتاب نسخةٌ وحيدةٌ في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، تحت الرقم ٢٢٥٦[٢] .

٩ ـ كتابُ اختصار الإدغام الكبير على ألف، با ، تا ، ثا ، لمكِّي بن أبي طالب ـ أيضاً ـ . ورد ذكره في: إنباه الرواة ٣/ ٣١٧ .

---

(١) ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، ـ مخطوطات التجويد ـ ص ١٥٧ .

(٢) ينظر: مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، ص ١٣٢ . وللمزيد ينظر: معجم الدراسات القرآنية، د. ابتسام مرهون الصفار، ص ٤٥٨ .

١٠ ـ كتابُ الحروف المدغمة، لمكِّي بن أبي طالب ـ أيضاً ـ، جزءان.

ورد له ذكر في: معجم الأدباء ١٩/ ١٧٠، وفيات الأعيان ٥/ ٢٧٦، هدية العارفين ٢/ ٤٧٠.

١١ ـ كتابُ فرش الحروف المدغمة، لمكِّي بن أبي طالب ـ أيضاً ـ، جزءان.

ورد ذكره في: إنباه الرواة ٣/ ٣١٨، ولعلَّ هذا الكتاب هو نفسه الوارد في الفقرة رقم « ٩ » السابقة!

١٢ ـ كتابُ الإدغام الكبير، لأبي عمرو الدَّاني (٤٤٤هـ)، وهو هذا الكتاب الذي قمنا بتحقيقه ونشره.

١٣ ـ الكتابُ المصنَّفُ في البيان والإدغام، للدَّاني ـ أيضاً ـ.

ورد ذكره في: الإدغام الكبير، للدَّاني، ص ١٥٩، ١٩٨.

وجاء في (فهرست تصانيف الإمام أبي عمرو الدَّاني، ص ١٨) بعنوان آخر هو (الصَّفْح [كذا] عن مذاهب القرَّاء في البيان والإدغام)، وذكر مُحَقِّقُ هذا الفهرست أنه هو الذي أشار إليه الدَّاني مرتين في كتابه (الإدغام الكبير) بقوله « الكتاب المصنف في البيان والإدغام ». ينظر تعليق المحقِّق، ص ١٨ « الهامش ».

وإن كنت أتفق معه في أن هذين الكتابين هما كتابٌ واحدٌ إلاَّ أنني أجد في نفسي شيئاً من صحَّة العنوان السابق الذي ذكره المحقِّق، فقد أورد أبو محمد المالَقي (٧٠٥هـ) في شرحه لكتاب (التيسير)، للدَّاني، نقولات عدَّة من كتاب للدَّاني سمَّاه (المفْصح)، ينظر: الدر النثير والعذب النمير ٢/ ١١٧ ـ ١١٨، كما ورد بهذه التسمية ـ أيضاً ـ في: معرفة القُرَّاء الكبار [طبقات القرَّاء] للذَّهبي، ٣/ ١١٧٥ [بتحقيق: د. طيَّار آلتي قولاج]، ٢/ ٩٤٣ [بتحقيق: د. أحمد خان]، ولعلَّ هذا هو العنوان الصحيح للكتاب، وليس (الصَّفْح) كما ورد!

١٤ ـ كتابُ رواية الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء، لأبي عبدالله محمد بن شُريح الرُّعيني الإشبيلي (٤٧٦هـ).

ورد ذكره في: فهرسة ما رواه عن شيوخه، لابن خير الإشبيلي، ص ٣٥.

١٥ ـ كتابُ الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء، لأبي محمد شُعيب بن عيسى الأشجعي الأندلسي (توفى بعد سنة ٥٣٠هـ).

ذُكر في: فهرسة ما رواه عن شيوخه، لابن خير الإشبيلي، ص ٣٥.

١٦ ـ كتابُ الإدغام الكبير مع علله، لأبي بكر محمد بن حامد بن محمد الأصبهاني (من علماء القرن السادس).

ذُكر في: غاية النهاية ٢/ ١١٤.

١٧ ـ عُمْدَةُ النِّحْرير في الإدغام الكبير، لأبي محمد عبدالواحد بن محمد بن علي بن أبي السَّداد الباهلي الأندلسي المالَقي (٧٠٥هـ).

توجد منه نسخةٌ في دار الكتب الظاهرية بدمشق، برقم ٥٩٦٤[١].

١٨ ـ رَوْضُ الأزهار فيما (؟) يقول بالإدغام والإظهار، لمحمد بن أحمد العوفي (١٠٥٠هـ). وهو ـ كما تذكر المصادر ـ مختصرٌ لكتاب أبي عمرو الدَّاني (الإدغام الكبير).

توجد منه نسخة في: مكتبة كليات سيلي أوك (منجانا) / برمنجهام، ٤/ ١٢ (46-207/1)، وعدد أوراقه خمسٌ وعشرون ورقة[٢].

---

(١) ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، ـ مخطوطات التجويد ـ ص ١٢٢، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، علوم القرآن الكريم: المصاحف، التجويد، القراءات. وضعه: صلاح محمد الخيمي. ١/ ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٢) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مخطوطات التجويد، ص ١٢، ١٠٢. ولمؤلِّف هذا الكتاب ترجمةٌ في: الأعلام ٦/ ٩.

١٩ ـ القولُ الشَّهيرُ في تحقيق الإدغام الكبير، لأبي زيد عبدالرحمن ابن القاضي المكناسي (٩٩٩ ـ ١٠٨٢هـ).

مخطوطٌ توجد منه نسخةٌ في خزانة تطوان برقم (٨٨١م)[١].

٢٠ ـ تَحْقيقُ الكلام في قراءة الإدغام، للمؤلِّف السابق، وهو مُرَتَّبٌ على حروف المعجم.

توجد منه عدة نسخ في خزانة تطوان برقم (٨٦٧ م)، ورقم (٨٥٣ م)، ورقم (٢٧٣ م)، كما توجد منه نسخة ضمن مجموع بمكتبة جامعة الإمارات العربية[٢]، وتوجد منه نسخة في جامعة برنستون (جاريت / يهودا) ٢٥ [3855(267)][٣].

٢١ ـ الفوائدُ الحسانُ في الإدغام للحروف السَّواكن والبيان، لمحمد بن عمر الكُفَيري (١١٣٠هـ).

توجد منه نسخٌ متعددةٌ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض[٤].

٢٢ ـ لاحقةٌ للشارح البائس الفقير في إيضاح باب الإدغام الكبير، لأبي العاكف محمد أمين المدعو بعبدالله أفندي زاده (١٢٧٥هـ)، وهو مطبوع طبع حجر في استانبول، مطبعة الصَّحاف أسعد بقره حصارى زاده، سنة ١٢٨٧هـ.

وكان مؤلِّفه قد ألحقه بكتابه (عُمْدَةُ الخلاَّن) الذي شرح فيه كتاب (زبدة العرفان في وجوه القرآن)، لحامد بن الحاج عبدالفتاح البالوي (١١٧٣هـ). والإدغام الوارد في هذا الكتاب برواية السُّوسي[٥].

---

(١) ينظر: فهرس مخطوطات خزانة تطوان، قسم القرآن وعلومه، ص ٢٨ ـ ٢٩، القُرَّاء والقراءات بالمغرب، سعيد اعراب، ص ١٠٤.

(٢) ينظر: فهرس مخطوطات خزانة تطوان، ص ٢٩ ـ ٣٠، فهرس مخطوطات جامعة الإمارات العربية، ص ١٤ ـ ١٥.

(٣) ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ـ مخطوطات التجويد ـ ص ٣٧ ـ ٣٨، القُرَّاء والقراءات بالمغرب، ص ١٠٨.

(٤) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ـ مخطوطات التجويد ـ ص ١٣٣.

(٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، القسم التاسع «١٣ ب ـ ١٤» ص ٣٧٥ «الترجمة العربية».

٢٣ ـ كتابُ الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء، برواية أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، ومؤلِّفه مجهول.

ورد ذكره في: تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، المجلد الأول ـ الجزء الأول، ص ٥٢ « الترجمة العربية »، ومنه نسخٌ عديدةٌ بالمكتبة الظاهرية بدمشق[١].

وقد صدر هذا الكتاب بتحقيق الدكتور عبدالكريم محمد حسين، ضِمْنَ منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، ١٩٩٥م. كما صَدر مُؤَخَّراً بتحقيق أنس محمد مهرة، عن دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ، ١٩٩٨م[٢].

٢٤ ـ كتابُ الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء البصري، مؤلِّفه مجهول.

يوجد منه نسخٌ متعددة في جامعة الملك سعود بالرياض، وفي جامعة أم القرى بمكة المكرمة. وقد صدر هذا الكتاب مُحَقَّقاً عن دار الهجرة بدمشق ـ بدون تاريخ ـ، حقَّقه: فاروق أحمد اسليم.

والذي يظهر لي أن هذين الكتابين هما كتابٌ واحدٌ، ذو نسخ متعددة، ليس إلاَّ.

٢٥ ـ الأحرفُ التي يُدْغمها أبو شُعيب السُّوسي بروايته في المتقاربين والمتماثلين، مؤلِّفه مجهول.

يوجد منه نسخةٌ في: أوقاف الموصل (داود الجلبي)، ٦/ ٢٦١(٦٢/ ٩ مجموع ٥)[٣].

---

(١) ينظر: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، ـ علوم القرآن ـ، وضعه الدكتور عزة حسن، ص ٢٠ ـ ٢١، الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ـ مخطوطات التجويد ـ ص ١١ ـ ١٢ [ويلاحظ في هذا الفهرس الأخير خَلْطٌ بين كتاب الإدغام الكبير للدَّاني وهذا الكتاب المذكور في الفقرة رقم ٢٣].

(٢) وَهِمَ مُحَقِّقَا هذا الكتاب فنسباه لأبي عمرو بن العلاء، وكذا وهم الدكتور زهير غازي زاهد فنسبه له ـ أيضاً ـ ينظر: أبو عمرو بن العلاء، جهوده في القراءة والنحو، ص ٤٣، وتبعتهم في هذا الوهم الدكتورة ابتسام مرهون الصفار. ينظر: معجم الدراسات القرآنية، ص ٥٠.
ويغلب على الظن أنه ليس له، وإنما هو مرويٌّ عنه، ويُقَوِّي هذا أن المخطوط يَنُصُّ على أن الإدغام الوارد فيه برواية السُّوسي عن اليزيدي عن أبي عمرو بن العلاء. والله أعلم بالصَّواب.

(٣) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ـ مخطوطات التجويد ـ ص ١٠ ـ ١١.

٢٦ ـ رسالةٌ في إدغام السُّوسي في كل سورة، ومؤلِّفه مجهول.

يوجد مخطوطاً بمكتبة الحرم المكي برقم ٢١٥/ ١٧ (دهلوي). ويقع في ثلاثين صفحة، ويوجد منه نسخةٌ في معهد الاستشراق / بطرسبورغ، ١/ ٥٣ (A 309-729a)[١].

* * *

أمَّا الدِّراساتُ الحديثةُ التي تناولت هذه الظاهرةَ اللغويةَ فهي من الكثْرة بمكان، وسأكتفى بإيراد ما خُصِّصَ منها لها بحثاً ودراسةً:

٢٧ ـ الإدغام في القرآن. أعدَّه: أنوار الحق، طُبع في لكنهو، سنة ١٩٢٦م[٢].

٢٨ ـ الأصوات في قراءة أبي عمرو، للدكتور عبدالصَّبور شاهين. رسالة ماجستير بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٢م. وقد نشرها بعنوان (أثر القراءات والأصوات في النحو العربي، أبو عمرو بن العلاء)، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٧م.

وتُعَدُّ هذه الدراسة من أوفى ما كُتبَ عن ظاهرة الإدغام ـ فيما اطَّلعت عليه ـ.

٢٩ ـ الإدغام بين النَّحْويِّين والقُرَّاء، د. محمد أحمد سليمان إدريس. رسالة ماجستير بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة الخرطوم[٣].

٣٠ ـ صُوَرٌ من الإدغام الوارد في القرآن الكريم وقراءاته، للدكتور أحمد مختار عمر. بَحْثٌ ضِمْنَ كتاب (في قضايا الأدب واللغة بمناسبة افتتاح القرن الخامس عشر الهجري)، إعداد وتقديم: د. عبده بدوي، مؤسسة الصباح، الكويت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ص ٢٠٥ ـ ٢٢٤.

٣١ ـ الإدغام بين النُّحَاة والقُرَّاء، د. إسماعيل أحمد الطحَّان، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد الرابع، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص ١٤٣ ـ ٢٠٠.

---

(١) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ـ مخطوطات التجويد ـ ص ٧٦.

(٢) نقلاً عن: معجم مصنفات القرآن الكريم، د. على إسحاق شويخ، ٢/ ٣٠.

(٣) نقلاً عن: محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة، المجلد ١١، رقم ٨١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٣٣.

٣٢ ـ الإدغام في العربية ، فاطمة حمزة الراضي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦م .

٣٣ ـ في حقيقة الإدغام ، د. جعفر عبابنة ، مجلة أبحاث اليرموك ، سلسلة الآداب واللغويات ، المجلد الثالث ، العدد الثاني ، ١٩٨٦م ، ص ٤٧ ـ ٦١ .

٣٤ ـ ظاهرة التماثل عند توالي الأصوات العربية الصامتة ، عبدالرحمن بن حسن العارف . رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .

٣٥ ـ الإدغام الكبير بين القرَّاء والنحويين ، تماضر رحيم هاشم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ـ جامعة البصرة ، ١٩٨٩م .

٣٦ ـ الإدغام والفك بين القرَّاء واللغويين ، د . عبدالغفار حامد هلال ، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ، ص ٥٠ ـ ١١١ .

٣٧ ـ الإدغام في قراءة حفص ، مها عاشور الشمري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

٣٨ ـ الإدغام ـ مفهومه وأنواعه وأحكامه ، د . إبراهيم الشمسان ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، العدد ٢٥ ، ١٤٢٠هـ ، ص ١٨٩ ـ ٢٥٦ .

٣٩ ـ ACONTRASTIVE STUDY OF STANDARD ENGLISH AND BAGHDADI ARABIC ASSIMILATION PATTERNS OF CONSONANTS. (ADIL KAMIL RAZZOUG).

[دراسة مقارنة بين اللغة الإنجليزية الفصحى واللهجة البغدادية عن الإدغام في السَّواكن (الحروف الصامته) ، عادل كامل رزُّوق ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦م][1] .

---

(١) ينظر : فهرس الأطاريح الجامعية لكلية الآداب / جامعة بغداد ، إعداد : ندى نعمان السَّعْدي ، ص ٢٩١ .
ويوجد من هذه الرسالة نسخةٌ في قسم الرسائل الجامعية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بعنوان (الإدغام في الحروف السَّاكنة بين اللغة الإنجليزية والعربية المنطوقة في بغداد ، دراسة لغوية مقارنة) ورقمها في المركز : ١١٦٦٤ ، ورقم الحفظ : فيلم رقم : ١/ ٨/٨٥ .

أهميَّةُ الكتاب وقيمتُه العلميَّة وأثره فيما بعده

تُعَدُّ ظاهرة الإدغام (Complete Assimilation) من الظواهر اللغوية الكبرى في اللغة العربية، ونظراً لكونها كذلك فقد كانت مَدْخَلاً منهجياً، ومقدمةً أولى للدراسات الصوتية عند علماء العربية، على نحو ما نلمسه عند سيبويه (١٨١هـ)، ومن جاء بعده من اللُّغويين، والنُّحاة، وعلماء القراءات.

وقلَّما يخلو كتابٌ في النحو من تناول هذه الظاهرة، حيث جرت العادة أن يختتم مُصَنِّفو هذه المؤلَّفات مباحثهم وموضوعاتهم بالحديث عنها، وموقف القُرَّاء والقراءات منها.

على أنَّ ظاهرة الإدغام الكبير ـ بصفة خاصة ـ قد وردت بكثرة بالغة في جانبها التطبيقي لدى القُرَّاء: تَسْبيعاً، وتَثْميناً، وتَعْشيراً، وإن كان أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) هو «المشهور به، والمنسوب إليه، والمرويُّ عنه، والمختصُّ به من الأئمة العشرة»[(١)]، وهو الذي يُرْوَى عنه قوله: «الإدغامُ كلامُ العرب الذي يجري على ألسنتها، ولا يُحْسِنُونَ غيره»[(٢)].

ثُمَّ إنَّ صاحبَ هذه الظاهرة ـ إنْ صَحَّتْ التسمية ـ أحَدُ القُرَّاء السبعة، وأحَدُ أئمة اللغة، بل هو أبو العلماء وكَهْفُهُمْ ـ كما وصفه ابن جني[(٣)] ـ، وأعلمُ الناس بالقرآن والعربية ـ كما يقول ابن الجزري ـ[(٤)]، فهو بهذا قارئٌ ولُغويٌّ، يجمع بين حسِّ النُّحَاة القائم على القياس، والسَّماع عن العرب، وتواتر القُرَّاء المعتمد على الرِّواية والأثر، الأمر الذي جعل نظرة الفريقين لهذه الظاهرة متفاوتة، بل إن

(١) النشر ١/ ٢٧٥. وينظر: الإقناع، لابن الباذش، ١/ ١٩٥.
(٢) الإدغام الكبير، للدَّاني، ص ٩٠.
(٣) الخصائص ٣/ ٣٠٩.
(٤) غاية النهاية ١/ ٢٩٠.

الاختلاف فيه قد وقع بين القُرَّاء أنفسهم، كما وقع ـ أيضاً ـ بين نحاة المدرستين: البصرة والكوفة.

وفوق هذا وذاك، فالإدغام الكبير(*) ـ وهو عنوان هذا الكتاب وموضوعه ـ رُغْمَ أنَّ الغرضَ منه هو التخفيفُ، أو الاقتصادُ في الجهد العضلي ـ بتعبير المحْدَثين ـ، فإنه يُثير العديدَ من المشكلات النَّحْوية والصَّوتية، كالإخلال بحركات الإعراب، والجمع بين السَّاكنين(١) . . . إلخ.

يُضاف إلى ما تقدَّم أنَّ مؤلِّفَ كتابنا هذا أحدُ علماء القراءات الذين نذروا حياتهم لخدمة كتاب الله، والتأليف في علومه، وقراءاته، وتجويده، وكان الإدغام الكبير ممَّا استوقفه أمره، وعَظُمَتْ حاجة الناس إلى تفصيل القول فيه، وبيان علله ووجوهه، فخصَّه بعنايته واهتمامه، وحظي منه بالتأليف، وإفراده بكتابٍ مستقل.

من أجل هذا كلِّه، كان لظاهرة الإدغام بجميع صورها، وأقسامها، ومظاهرها، أهميةٌ خاصَّةٌ لدى علماء القراءات، وعلماء النَّحو.

وفي ضوء ما ذُكر يتبيَّن لنا أهميةُ هذا الكتاب وقيمتُه العلمية، قراءةً، وأصواتاً، وصرْفاً، ونحْواً.

* * *

(*) الإدغام عند علماء القراءات قسمان: صغير، وكبير، فالصغير هو الذي يكون فيه أوَّلُ الحرفين المدغمين ساكناً، والكبير ما كان الأوَّلُ منهما متحرِّكا. وسُمِّيَ بذلك لكثرة وقوعه؛ إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه، وقيل لما فيه من الصعوبة، وقيل لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين. ينظر: الإقناع ١/ ١٩٥، النشر ١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥. ولمناقشة هذه التعليلات ينظر: ظاهرة التماثل عند توالي الأصوات العربية الصامتة، ص ٩٣ فما بعدها.

(١) لمناقشة تلك القضايا والمشكلات ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ٣٣٨، ظاهرة التماثل عند توالي الأصوات العربية الصامتة، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٦، أبو عمر بن العلاء ـ جهوده في القراءة والنحو، ص ٨١ فما بعدها.

أمَّا أثر هذا الكتاب فيما بعده، فبتتبُّعي المصادر التي عُنيت بالحديث عن الإدغام الكبير عند أبي عمرو بن العلاء ـ لم أجد ما يَنُصُّ صراحةً على أن هذا الكتاب قد أثَّر فيما بعده من مؤلَّفات مماثلة، نَقْلاً عنه، واقتباساً منه، أو شرحاً عليه، واختصاراً له، سوى ما ورد في كتاب المالَقي (الدُّرُّ النثير والعذْبُ النَّمير) من نصوص كثيرة مقتبسة من كتاب الدَّاني (التَّفْصيل)، أو (الإدغام الكبير) ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ، وما ورد في فهارس المخطوطات ـ كما تقدَّم ـ من أن لهذا الكتاب مختصراً ما يزال ـ حَسَبَ علمي ـ رهين خزائن إحدى المكتبات في أوربا.

وبالرَّغْم من أن بعض المؤلفات قد أوردتْ إدغام أبي عمرو للحروف إدغاماً كبيراً في سور القرآن سورةً سورةً، وحصرتْ مواضع الإدغام في كل سورة، كما هى الحال في كتابَي (الإدغام الكبير لأبى عمرو بن العلاء)، وكتاب (الكامل في القراءات الخمسين) للهذلي (٤٦٥هـ)، وكتاب (التلخيص في القراءات الثمان) لأبي مَعْشَر الطَّبري (٤٧٨هـ)، وكتاب (غيث النفع في القراءات السَّبْع) للصَّفَاقسي (١١١٨هـ)، فإننا لا نكاد نجد ما يُصَرِّح أو يُشير إلى استفادتها من هذا الكتاب، رُغْمَ شهرة الدَّاني، وشهرة مؤلفاته!

ولا بُدَّ ـ ونحن في هذا المقام ـ من الإشارة إلى أن الدكتورة خديجة الحديثي ذكرت أن (كتاب الإدغام الكبير) للدَّاني كان أحد مصادر كتب القراءات التي نقل عنها أبو حيَّان النَّحْوي (٧٤٥هـ)، واعتمد عليها في تفسيره (البحر المحيط)[١].

والواقع أنني تصفَّحت مقدمة (البحر المحيط)، وأطَلْتُ النظر فيها، فلم أقفْ على ذكر لهذا الكتاب ضمن مصادر أبي حيَّان، كما أنني اطَّلعتُ على بعض ما كُتب عن مصادر تفسير أبي حيَّان من كتب القراءات ـ فلم أجد ذكراً لهذا الكتاب ضمن مصادره[٢].

(١) ينظر: أبو حيان النحوي، ص ١٩٦.

(٢) ينظر: مقدمة مُحَقِّقي تفسير البحر المحيط، ص ٩٠، القراءات القرآنية في البحر المحيط، د. محمد أحمد خاطر، الجزء الأول / د م ـ ز م.

وقبل هذا وذاك فقد نقَّبتُ في نقولات أبي حيَّان عن أبي عمرو الدَّاني ـ معتمداً في ذلك على الفهرس الشَّامل الذي وُضع لتفسير البحر المحيط[١] ـ فلم أظفرْ بشيء!

والذي وقفتُ عليه أن أبا حيَّان ذكر أنه رأى كتاباً في إدغام أبي عمرو الكبير، لأبي عمرو الدَّاني، واصفاً هذا الكتاب بالإحاطة والشمول[٢]، دون أن يذكر اعتمادَه عليه، أو النَّقْلَ عنه.

ومهما يكن من شيء، فإن هذا لا يعني التقليلَ من قيمة الكتاب العلمية، أو الغضَّ من شأنه، فالكتابُ مُهِمٌّ في بابه ـ دون شك ـ، وعسى أن تكشف لنا الأيام ما لم نتمكَّن من الوقوف عليه، والجزْم به في هذه المسألة على وجه الخصوص.

* * *

(١) أعدَّ هذا الفهرس مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر، بيروت ـ لبنان، بعناية الشيخ عرفان حسُّونة.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٣١١.

توثيق الكتاب

(نسبته إلى مؤلفه، وعنوانه)

لم أجد فيما اطَّلعتُ عليه من كتب الطبقات، والتراجم، وما شابههما، ذكراً لهذا الكتاب ضمن تصانيف أبي عمرو الدَّاني؛ «وربما يرجع ذلك لكثرة مؤلفات أبي عمرو، ولاهتمام المترجمين بذكر أشهر هذه المؤلفات، وليس استيعابها جميعاً»[١].

على أن الدَّانيَّ نفسه أشار إلى هذا الكتاب في اثنين من مؤلفاته، من غير أن يُصرِّح باسمه أو يُحدِّد عنوانه.

فقد ذكر في كتابه (التَّهْذيب لما انفرد به كل واحدٍ من القُرَّاء السَّبعة)[٢]، تحت باب «ذكر مذهب أبي عمرو في إدغام الحرفين المثلين والمتقاربين إذا كانا متحركين» أنه أفرد لذلك كتاباً بيَّن فيه مذهبه في الإدغام على سبيل الاستقصاء[٣]، كما ذكر في كتابه (المفردات السَّبع)[٤] أنه أفرد لمذهب أبي عمرو بن العلاء في إدغام الحروف المتحركة كتاباً في ذلك[٥]، ويَغْلِبُ على الظنِّ أنه يعني بذلك كتاب الإدغام الكبير.

وأول ذكر صريح لهذا الكتاب ـ حَسَبَ علمي ـ كان لدى الإمام أثير الدين أبي حيَّان الأندلسي (٧٤٥هـ)، حيث ذكر ـ رحمه الله ـ أنه رأى لأبي عمرو الدَّاني «كتاباً في (كَلاَّ)، وكتاباً في (إدغام أبي عمرو الكبير)، دَلاَّ على اطِّلاعه على ما لا يكاد يَطَّلع عليه أئمَّة النُّحَاة، ولا المقرئين، إلى سائر تصانيفه رحمه الله»[٦].

---

(١) مقدمة الدكتور على حسين البوَّاب لكتاب الدَّاني: الظاءات في القرآن الكريم، ص ١٥.

(٢) هذا الكتاب مخطوط بمكتبة أيا صوفيا بتركيا، برقم: ٣٩/ ٢، وله نسخ متعدِّدة، ومنه نسخة ميكروفيلمية بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم: ١١٦٧ قراءات.

(٣) ينظر: ورقة ١٨ ب من نسخة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

(٤) هذا الكتاب مطبوع في القاهرة، بمكتبة القرآن، المطبعة الفاروقية الحديثة، د. ت.

(٥) ينظر: ص ١٢٥.

(٦) البحر المحيط ٤/ ٣١١.

وقد ورد في (فهرست تصانيف الإمام أبي عمرو الدَّاني) أن له كتاباً بعنوان (التفصيل لمذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير) مجلد[١]، وذكر محقِّق هذا الفهرست أن هذا الكتاب قد يكون هو كتاب الإدغام الكبير[٢]، وهذا ما أميل إليه، وبخاصة أن من عادة الدَّاني ـ كما يذكر أحد الباحثين ـ أن يُسَمِّيَ الكتابَ الواحدَ بأسماء مختلفة[٣].

ولعلَّ أوَّلَ ذكْر لهذا الكتاب في العصر الحاضر ـ فيما أعلم ـ ما ورد في (فهرس المخطوطات العربيَّة بالمتحف البريطاني) « الجزء الثاني من الملحق، رقم ٩٢ » من أنَّ لأبي عمرو الدَّاني كتاباً بعنوان (كتاب الإدغام)، وفيه عَرْضٌ لما ورد في المخطوط من المقدمة، وأبواب الكتاب[٤].

كما ورد في (دائرة المعارف الإسلامية) تحت مادَّة « الدَّاني »[٥] أنه له (كتاب الإدغام)، وهو ـ كما يقول واضع المادَّة ـ: رسالةٌ في إدغام الحركة[٦].

ثُمَّ أشار إليه بعد ذلك المستشرق الألماني (اوتوبرتزل) في مقدمته لكتاب (التيسير في القراءات السَّبع)، للدَّاني، الذي حقَّقه ونشره سنة ١٩٣٠م، حيث عرض فيها مصنفات أبي عمرو الدَّاني، وذكر ضمن ما ذكره كتاب (الإدغام الكبير في قراءة القرآن)[٧].

---

(١) ينظر: ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩ (الهامش).

(٣) مقدمة الباحث جمال عبدالفتاح أبو العزم لكتاب الدَّاني(الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة) قسم التحقيق / ب « رسالة ماجستير ـ لم تطبع ـ بكلية اللغة العربية، بجامعة الأزهر ».

(٤) SUPPLEMENT TO THE CATALOGUE OF THE ARABIC MANUSCRIPTS IN THE BRITISH MUSEUM. BY. CHARLES RIEU, PH.D, 1894. P. 52, NR. 92.

(٥) ينظر: ٩/ ١١٨، ترجمة: أحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبدالحميد يونس، راجعها: د. محمد مهدي علاَّم.

(٦) لعلَّ واضع المادة يقصد بهذا إدغام الحرفين إدغاماً كبيراً، حيث يكون الحرف الأول فيه متحركا.

(٧) ينظر: مقدمة (اوتوبرتزل) لكتاب التيسير، للدَّاني، ح.

ثُمَّ كان أن نشر هذا المستشرق مقالاً قيِّماً ـ بالألمانية ـ عن (مخطوطات علم القراءات في مكتبات تركيا) في مجلَّة « ISLAMICA »، المجلد السادس، سنة ١٩٣٤م، أشار فيه إلى هذا الكتاب، وإلى نُسَخه الموجودة في العالم، وَوَصَفَ المخطوط من حيث عددُ أوراقه وسطوره، ونوعُ خطِّه، وأورد منه نصوصاً تتضمَّن مقدمة الكتاب، وعناوين أبوابه(١).

وتلا ذلك (بروكلمان)، حيث نَصَّ عليه في (تاريخ الأدب العربي) ـ الأصل والملحق « الذَّيل » ـ معتمداً على (اوتوبرتزل) في مقاله السَّابق، وعلى ما ورد في فهرس المتحف البريطاني(٢).

وتَبِعَ هؤلاء الأستاذ فؤاد سيِّد الذي أورد هذا الكتاب ضمن (فهرس المخطوطات المصورة) بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة، ١٩٥٤م(٣).

وبعد ذلك تعدَّدت الإشارة إلى هذا الكتاب في مقدمات مُحَقِّقي مؤلَّفات الدَّاني كـ (المحكم في نَقْط المصاحف)(٤)، و(التَّعْريف في اختلاف الرُّواة عن نافع)(٥)، و(المكتفى في الوقف والابتدا)(٦)، و(جامع البيان في القراءات السبع)(٧)، و(التَّحْديد في الإتقان والتَّسْديد في صنعة التَّجْويد)(٨).

---

(١) DIE WISSENSCHAFT DER KORANLESUNG (ILM Al-GIRA,A). ISLAMICA, 1934, P. 233-234.

(٢) GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR VON : PROF. DR. C. BROCKELMAN. ERSTER SUPPLEMENTBAND, 1937, 1 / 720.

وينظر : المصدر السابق (الأصل) ERSTER BAND, 1943, 1/517

(٣) ينظر : الجزء الأول، ص ٦.

(٤) ص ١٥.

(٥) ص ٥٢.

(٦) ص ٣٥ ـ ٣٦، بتحقيق : جايد زيدان، و ص ٣٦، بتحقيق : د. يوسف المرعشلي.

(٧) ينظر : الإمام أبو عمرو الدَّاني وكتابه جامع البيان، ص٤٨.

(٨) ص ١٧، بتحقيق : د. أحمد عبدالتواب الفيومي.

يُضاف إلى ما تقدَّم أن المؤلِّف نفسه أحال في هذا الكتاب غير مرَّة إلى بعض مُصنَّفَاته، ككتابه (المصنَّف في البيان والإدغام)، وكتابه (المصنَّف في الأصول)[١]، وهى تآليفُ ثابتةُ النِّسبة إليه .

كما أن هناك نقولات لابن الباذش (٥٤٠هـ) في كتابه (الإقناع في القراءات السَّبْع) قد وردت في كتابنا هذا[٢]، ومعلومٌ أن كتاب (الإقناع) ما هو إلاَّ تنقيحٌ وتهذيبٌ وشرحٌ لكتاب (التيسير في القراءات السَّبع) للدَّاني، وكتاب (التَّبْصرة في القراءات السَّبْع) لمكِّي بن أبى طالب القيسي (٤٣٧هـ).

وهناك نصوصٌ كاملةٌ أوردها عَلَمُ الدِّين السَّخاوي (٦٤٣هـ) في كتابه (جمال القُرَّاء وكمال الإقراء) منقولةٌ عن الدَّاني، وبخاصَّة البابُ الذي عقده للإدغام[٣].

كما أن هناك نقولات عديدة مُتَصلَّة بالإدغام الكبير لأبى عمرو، اقتبسها عبدالواحد بن أبي السَّداد المالَقي (٧٠٥هـ) في كتابه (الدُّرُّ النثير والعذب النَّمير)، مُصَرِّحاً باسم المصدر الذي اعتمد عليه فيها وهو كتاب (التَّفْصيل)[٤]، وسبق القولُ بأن هذا الكتابَ هو كتابُ الإدغام الكبير لأبي عمرو الدَّاني .

وآخرُ هذه الأدلَّة والشَّواهد تلك النصوصُ التي لا حَصْر لها، والتي أوردها ابن الجزري (٨٣٣هـ) في كتابه (النَّشْر في القراءات العشْر)[٥]، وكلُّها يُطَابق ما في كتابنا هذا، ومعلومٌ أن ابن الجزري اعتمد في مؤلَّفه هذا على عدَّة مصادر، من بينها: كتاب (جامع البيان في القراءات السَّبع).

(١) ينظر: الإدغام الكبير، ص ١٥٩، ١٩٧، ١٩٨.

(٢) ينظر ـ على سبيل المثال ـ : الإقناع ١/ ٢١٠، ٢٢٥ ـ ٢٢٦، ويقارَن بما ورد في: الإدغام الكبير، ص ١١٨، ١٦٥.

(٣) ينظر: جمال القُرَّاء ٢/ ٤٨٥ فما بعدها، ويقارَن بما ورد في: الإدغام الكبير، ص ٧٧ ـ ٧٨، ٧٩ ـ ٩٠.

(٤) ينظر ـ على سبيل المثال ـ : الدر النثير ٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦، ١٢٩، ١٣١، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٧ . . . إلخ، ويقارَن بما ورد في: الإدغام الكبير، ص ١٠٦، ١٤١، ١٧١، ١٧٦، ١٨٨، ١٨٩.

(٥) ينظر ـ مثلاً ـ : النشر ١/ ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٥ . . . إلخ، ويقارَن بما ورد في: الإدغام الكبير، ص ٩٢، ١٠٦، ١٢٨، ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

وقد اتَّضح لي أن جميعَ ما ورد في هذا الكتاب ـ أعني (جامع البيان) ـ وخاصةً البابَ الذي خَصَّصَه للإدغام الكبير عند أبي عمرو بن العلاء ـ قد ورد في كتابنا هذا، ولَعَلِّي لا أعْدُو الحقيقة حينما أذْهَبُ إلى القول بأن ما في كتاب (جامع البيان) من هذا الباب إنما هو مُخْتَصَرٌ لما ورد مُفَصَّلاً في كتاب (الإدغام الكبير).

وفي ضوء ما تقدَّم من قرائن، فإن هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو لأبي عمرو الدَّاني، ونسبتُه إليه نسبةٌ ثابتةٌ، لا يرقى إليها شك.

أمَّا عنوان الكتاب فقد ورد لدى أبي حيَّان الأندلسي ـ كمَا سبق ـ باسم (إدغام أبي عمرو الكبير).

وذُكر في (فهرس تصانيف الإمام أبي عمرو الدَّاني) ـ كما تقدَّم ـ باسم (التَّفْصيل لمذْهب أبي عمرو في الإدغام الكبير)، وهو عنوانٌ يتفق مع ما ورد في مقدمة كتابنا هذا، كما يتفق ـ أيضاً ـ وبخاصَّة الكلمةُ الأولى من العنوان ـ مع ما جاء في نقولات المالَقي، كما تقدم، إلاَّ أن هذه التسمية لم ترد في أيٍّ من النُّسْختين المعتمدتين في التَّحقيق.

وورد في النُّسْخة المصوَّرةُ عن المتحف البريطاني بعنوان (كتاب الإدغام لأبي عمرو الدَّاني)، وذُكر في (فهرس المخطوطات المصورة) الذي صنَّفه الأستاذ فؤاد سيِّد، بعنوان (الإدغام الكبير).

أمَّا النُّسْخةُ المصوَّرةُ عن مكتبة شهيد علي فقد ورد فيها بعنوان (كتاب الإدغام الكبير)، وهو ما اخترتُه ورأيتُ أنه الأنسب؛ لأنه العنوانُ الذي تكاد تُجْمع أغلبُ المصادر عليه.

زَمَـنُ تأليفـه

ليس بين أيدينا من الأدلة الكافية ما يمكن لنا أن نضع تاريخاً زمنياً لتأليف هذا الكتاب، بل ليس هناك من القرائن ما يدل على زمن تأليفه تحديداً، إلاَّ أن الذي نستطيع الجزْم به هو أن كتابنا هذا مُتَقَدِّمٌ زمنياً على تأليف كتابيه (المفردات السبع)، و (التَّهْذيب لما انفرد به كلُّ واحد من القُرَّاء السبعة)؛ حيث ذكر فيهما أنه استقصى مذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير في كتاب أفْرِدَ لذلك ـ كما تقدم ـ.

كما أن هذا الكتاب مُتَأخِّرٌ زمنياً عن تأليف كتابيه (جامع البيان) و (التيسير)؛ ودليلنا على هذا أن ما ورد في هذين الكتابين من الإدغام الكبير عند أبي عمرو إنما جاء بشكل مُخْتَصر، وخاصةً كتابَ (التيسير)، ولم يردْ عن الدَّاني فيهما أيُّ إشارة أو إحالة على هذا الكتاب الذي فصَّل فيه القول عن هذه الظاهرة، روايةً، ومناقشةً، واحتجاجاً، وتعليلاً.

وكذا هو مُتَأخِّرٌ عن تأليف كتابيه (المصنَّف في الأصول)، و (المصنَّف في البيان والإدغام)؛ حيث ذكر في هذا الكتاب (الإدغام الكبير) أنه أشْبَعَ القولَ في بعض القضايا، وشَرَحَها بتفصيل أكثر في هذين الكتابين[1].

ثم إنـه أحـال في كتابه هـذا إلى بعض مؤلفاته دونما تحديد لها بالاسم بقوله: « وقد ذكرنا إسناد هؤلاء الشيوخ في غير ما كتاب من كُتُبِنَا، فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا »[2]، مما يدل على أن زمن تأليف هذا الكتاب مُتَأخِّرٌ نسبياً، ولعلَّه صنَّفه بآخرةٍ من العمر!

منهجـه

حَدَّدَ الدَّاني في مقدمة كتابه منهجه الذي اعتمده في التأليف فقال: « أما بعد، فإن جماعةً من أصحابنا ـ حرسهم الله ـ تكرَّرت مسألتُهم، وتأكدت رغْبتُهم، في

(١) ينظر: ص ١٥٩، ١٩٧، ١٩٨.
(٢) ص ٧٦.

تصنيف كتاب خفيف في شرح مذهب أبي عمرو بن العلاء ـ رحمه الله ـ في الإدغام الكبير، وتفصيل ذلك بعلله ووجوهه، وتبيينه بأصوله وفروعه، وإفراده برواية أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي عنه دون رواية غيره، فأجبتُهم إلى ما رغبوه، وشرعتُ في تصنيف ما سألوه، وأنبأتُهم من ذلك بما لهم الحاجة إليه، ولَخَّصْتُه، ودلَلْتُ عليه بلفظ مختصر، وكلام موجز، وذكرتُ من كل أصل ما أمكن منه، من غير أن آتي بجميع الوارد منه في كتاب الله عزَّ وجلَّ مجموعاً، إلاَّ ما قلَّ دوره فإني آتي بجميعه، ثم رسمتُ بعد ذلك جميعَ ما ورد منه مُفَرَّقاً في السُّور سورةً سورةً إلى آخر القرآن، وعرَّفْتُ بما وقع فيه اختلافٌ بين الرُّواة عن اليزيديّ، وما المعمول عليه من اختلافهم عند أهل الأداء والمتصدِّرين من القُرَّاء، وما قرأتُ أنا به لفظاً، وما أخذتُه أداءً، واعتمدتُ في ذلك كلِّه على الإيجاز، وسلكتُ فيه طريقَ الاختصار؛ لكي يَخفَّ تناولُه، ويَقْرُبَ حفظُه»[1].

ولعلَّنا نخرج من هذا بالحقائق المنهجية التالية:

١ ـ أن كتابَه هذا كتابٌ مُختَصَرٌ، وفي الوقت نفسه وافٍ بالموضوع الذي عُقِدَ من أجله، وخُصِّص له.

٢ ـ أن الإدغام الوارد في الكتاب هو برواية اليزيديِّ ـ وَحْدَه ـ عن أبي عمرو، دون غيره من الرُّواة.

٣ ـ ذِكْرُه اختلافَ الرُّواة عن اليزيديّ، والمعمول به عند أهل الأداء.

٤ ـ مناقشة ما ورد من روايات متعددة، والترجيح بينها، وتحديد القراءة التي كان يأخذ بها، مع التعليل لاختياره.

٥ ـ أحاديثه مُتَّصلة السند، حيث أوردها سماعاً عن شيوخه.

وقد حفل كتابه بالكثير من المسائل والقضايا اللُّغويَّة في مستواها الصَّوتي، والصَّرْفي، والنَّحْوي.

---

(١) ص ٦٩ ـ ٧٠.

فأمَّا الجانب الصَّوتي (Phonetics) فلم يكتف فيه بالحديث عن « حقيقة الصوت، وجوهره المجرَّد، وطبيعته العامة، وصورته القاموسية المعزولة البعيدة عن مواقف التأثر والتغيير »[(١)]، بل قرن ذلك بالحديث عن ما يحدث له في السِّلسلة الصوتية من تأثُّر وتأثير، مما يُعرف عند المحْدَثين بـ « ظواهر الدَّمج ».

وكَثُرَ في كتابه استخدام بعض المصطلحات الصوتية، كالرَّوم، والإمالة، والفتح، والإشمام، والإشارة، والاختلاس، والإخفاء، والقلب (الإقلاب)، والجهر، والهمس... إلخ.

وأمَّا الجانب الصَّرفي (Morphology) فقد كان على درايةٍ تامَّةٍ بتصريف الكلمة، وأصل بنائها، ووزنها، وما يعتورها من إعلال، وإبدال، وقلب، وحذف.

وأمَّا الجانب النَّحْوي (التركيبي) (Gremmar) فإنه كان ـ كما يشهد له بذلك هذا الكتاب ـ على معرفة دقيقة، وإحاطة واسعة، بمذاهب النَّحْويين بمختلف طوائفهم، فهو كثيراً ما يذكر رأي البصريين، ورأي الكوفيين، والاختلاف بينهم في بعض القضايا النَّحْوية، ويُناقشها، ويُرجِّح ما بينها، كما يذكر إجماع النَّحْويين ـ إن كانوا قد أجمعوا على مسألة نحويَّة ـ، مُحَدِّداً من شَذَّ عن هذا الإجماع، ويورد آراء من يصفهم بالحذَّاق من النَّحْويين، ويُدافع عنها، ويُعَلِّل لها.

وقد لاحظت أن الدَّاني يستخدم مصطلح (الخفض) دالاًّ على الكسر، وهو من مصطلحات الكوفيين في الدلالة على الجرِّ عند البصريين.

والشيءُ الملاَحَظُ في هذا الكتاب دفاعُه عن مبدأ القياس، فنراه كثيراً ما يُجيز الإدغام ـ بعد أن تكون الرواية قد وردت به ـ؛ بحجَّة أن له وجهاً لطيفاً من القياس ـ كما يقول ـ[(٢)]، ويذكر في بعض المواضع أن إلزام القياس في بعض صور الإدغام غير مستقيم[(٣)].

---

(١) علم الصوتيات، د. عبدالله ربيع وزميله، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.
(٢) ينظر: ص ١٢٩، ١٦٠.
(٣) ينظر: ص ١٣١.

ومن الملاحظات المنهجية ـ أيضاً ـ أنه يورد آراء العلماء في المسألة الواحدة دون أن يكون مُجَرَّدَ ناقل لها، بل يُناقشها، ويقبل منها ما اقتنع به، ويرفض ما يراه مُخَالفاً له، مع تقديم الأدلة لكل ذلك.

ولم يَخْلُ كتابه من ذكر بعض الأحاديث النَبويَّة، والشَّواهد الشِّعريَّة، واللَّهجات العربيَّة، التي كان يوردها لتأييد ما ذهب إليه من آراء [استشهد بحديثين اثنين، وبثلاثة أبيات من الشعر، عزا واحداً منها إلى قائله، ولم يَعْزُ الآخَرَيْن، واستشهد بلهجتين لفصحاء العرب دون أن يُحدِّد أصحابهما].

* * *

وقد قسَّم كتابه إلى قسمين رئيسين: أحدهما للأصول، والآخر لفرش الحروف سورةً سورةً إلى آخر القرآن.

فأمَّا القسمُ الأوَّلُ فقد وزَّعه إلى الأبواب التالية:

- بابُ ذكر تسمية من أخذنا عنه الإدغام روايةً، ومن قرأنا به عليه لفظاً من الطريق المذكورة.
- بابُ ذكر تسمية من رُوي عنه الإدغامُ، وتسميةُ القارئين له من السَّلف.
- بابُ ذكر البيان عن حقيقة الإدغام، وبيان أصوله، وتبيين فروعه (أنواعه).
- بابُ ذكر بيان مذهب أبي عمرو في إدغام الحروف المتماثلة والمتقاربة في الكلمة الواحدة، وفي الكلمتين.
- بابُ ذكر الإدغام في حروف الحلْق.
- بابُ ذكر الإدغام في حروف اللِّسان.
- بابُ ذكر الإدغام في حروف الشَّفتين.
- بابُ ذكر مذهب أبي عمرو في الإدغام للحروف السَّواكن.

ومن الملاحظات على هذا القسم من الكتاب، أنه لم يلتزم التزاماً كاملاً بترتيب الأصوات أثناء حديثه عن إدغام حروف اللِّسان، فقد ذكر أولاً إدغام القاف، والكاف، والجيم، والشِّين، والياء، والطَّاء، والدَّال، والتَّاء، مرتبةً بحسب مخارجها، لكنه ذكر بعد ذلك السِّين، والذَّال، والثَّاء، والنُّون، والرَّاء، واللاَّم، والضَّاد، مرتبةً على هذا النحو، وهو خلاف ما ذكره في ترتيب مخارج حروف اللِّسان، وخلاف ما سار عليه في كتابه (التَّحْديد في الإتقان والتَّجْويد) الذي عَرَضَ فيه لهذه الحروف عَرْضاً راعى فيه الترتيب لذكر المخارج بصفة عامة، وحروف اللِّسان بصفة خاصَّة.

وقد يكون للدَّاني ضرورةٌ علميةٌ أو منهجيةٌ أمْلَتْ عليه عدم مراعاة ذلك الترتيب.

وأمَّا القسم الثاني من الكتاب، فقد عَرَضَ فيه مواضع الإدغام الكبير لأبي عمرو في سور القرآن جميعها، مُكْتفياً بالإشارة إلى وجود خلاف ـ إن كان هناك خلاف ـ في إدغام بعض هذه المواضع التي سبق له أن فصَّل القول فيها في القسم الأول من الكتاب.

ومن الأمور اللاَّفتة للنظر، استخدامه أسلوبَ الحوار في مناقشة بعض قضايا اللغة، كقوله: «فإن قال قائل: لم جاز إدغام الجيم في التَّاء، وليست من مخرجها ولا قريبةً منها؟ قيل له: إنما جاز ذلك لأنها من مخرج الشِّين، والشِّين تتصل لما فيها من التفشِّي بمخرج التَّاء، فأجريَ لها حكمها...»[1].

بقي أن أشير إلى شيء ذي أهمية في منهج هذا الكتاب، وهو أن الدَّاني اعتمد اعتماداً كلياً ـ أثناء عرضه للروايات المختلفة عن اليزيديِّ ـ على الأثر والرِّواية، فإن

(١) ص ١٢٨، ولمزيدٍ من الأمثلة ينظر: ص ١١٣، ١١٤، ١٢٩، ١٨٤.

وُجد قياسٌ أو لغةٌ يؤزران ما اختاره وذهب إليه، عَدَّ ذلك مما يُقوِّي حجَّته ويُدَعِّمُ رأيه، وإن خالفا المرويَّ والمنقول، قَدَّم الرِّواية والأثر على ما عداهما، يقول في ذلك: «وقد يسمع البعض ما لا يسمع البعض، فيلزم اتباع النَّقل، والوقوف عند الرِّواية؛ لأن القراءة سُنَّةٌ تُتَّبَعُ، ولا تُعَارض بالقياس ولا بغيره»[(١)].

ويقول في موضعٍ آخر ـ بعد أن ذكر إدغام لام ﴿ قال ﴾ في الرَّاء ـ: «وقياس ذلك ﴿ قال رجلان ﴾ . . . إلاَّ أن النصَّ عن اليزيديّ إنما جاء في ﴿ قال رب ﴾ لا غير، ولا فرق بين ذلك وبينه، وبالإدغام قرأتُه طرداً للقياس، وعلى ذلك أهل الأداء مجمعون»[(٢)].

والواقع أن هذا الأمر كان مذهباً قائماً لدى الدَّاني في كثير من مؤلفاته التي اطَّلعنا عليها، فهو يقول في كتابه (جامع البيان): «وأئمة القراءة لا تعمل في شيءٍ من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصحِّ في النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردُّها قياسُ عربية، ولا فُشُوُّ لغة؛ لأن القراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، يلزم قبولها، والمصير إليها»[(٣)].

ويقول في (الموضح لمذاهب القُرَّاء واختلافهم في الفتح والإمالة): «إن القراءة لا تجري على المقاييس المخترعة، دون الآثار المتبعة»[(٤)].

تلك هي خُطَّةُ الكتاب، ومنهجُه، وهو منهجٌ التزم به الدَّاني إلى حدٍّ كبير، وإن كان قد خرج عنه ـ أحياناً ـ في بعض أبواب الكتاب، كما هي الحال في الباب الذي عَقَدَهُ لذكر مذهب أبي عمرو في الإدغام للحروف السَّواكن، فالكتاب ـ كما

(١) ص ١٥٩.

(٢) ص ١٦٨.

(٣) نقلاً عن: الإمام أبو عمرو الدَّاني وكتابه جامع البيان، ص ٨٩.

(٤) ص ٣٣١، تحقيق: جمال عبدالفتاح أبو العزم. ولمزيد من الشواهد ينظر: المحكم في نقط المصاحف، ص ٤٧، التعريف في اختلاف الرواة عن نافع، ص ٢٥٣.

ذكر هو نفسه ـ مُخَصَّصٌ للإدغام الكبير عند أبي عمرو، ومع هذا فإنه أقام باباً كاملاً للإدغام الصغير عند أبي عمرو!

كما أنه ذكر أثناء عرضه للإدغام الكبير بَعْضاً من صور الإدغام الصغير، كإدغام الرَّاء في اللاَّم، والطَّاء في التَّاء، والباء في الفاء.

ولعلَّنا نعتذر له في ذلك بأن الخروجَ الجزئيَّ عن المنهج الموضوع والخطَّة المحدَّدة ـ أمرٌ تفرضه طبيعة الدراسة من جهة، وتكامل الظاهرة ذات العلاقة من جهة ثانية.

مصادره

اعتمد الدَّاني في تأليف كتابه على مصدرين رئيسين: أحدهما مصدرٌ شفهيٌّ، يتمثَّل في مَرْوِيَّات شيوخه، وقراءته عليهم، والآخر مصدرٌ كتابي، يتمثَّل في كتب القراءات، وكتب اللُّغة.

فأمَّا المصدر الأول فقد ذكر فيه تسميةَ من أخَذَ عنه الإدغام روايةً وتلاوةً، ومن قرأ به عليه لفظاً، كما ذكر من رُوِيَ عنه الإدغام من السَّلف، صحابةً كانوا أو تابعين(١).

وأمَّا المصدر الآخر فكان بعضُه من كتب القراءات، وبعضُه الآخر من كتب اللُّغة.

فمن ذلك كتاب (قراءة أبي عمرو) لابن مُجَاهد (٣٢٤هـ)، وكتاب (السَّبْعَة) له ـ أيضاً ـ، وكتاب سيبويه(٢).

كما أنه ذكر آراءً نحويةً لكل من: أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، وأبي جعفر الرؤاسي (١٨٧هـ)، والكسائي (١٨٩هـ)،

---

(١) ص ٧١، ٧٩.

(٢) ص ١١٦، ١٣٣،

والفرَّاء (٢٠٧هـ)، وثَعْلب (٢٩١هـ)[١]، دون أن يشير إلى مَظَانِّ ذلك من مُؤَلَّفاتهم.

وقد أفاد ـ فيما تبيَّن لي ـ من شرح السِّيرافي (٣٦٨هـ) لكتاب سيبويه، دون عَزْوٍ إليه؛ حيث أورد عباراتٍ هى موجودةٌ بنصِّها في هذا الشرح[٢].

* * *

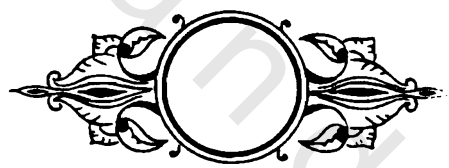

(١) ينظر: ص ٩٣، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٥.

(٢) ينظر: ص ٨١، ١١٤ ـ ١١٥، ١٦٠. ويقارن بما ورد في إدغام القرَّاء للسِّيرافي، ص ٢٠ ـ ٢١، ٤١، ٦١.

obeikandl.com